وأوضح هنا أن صادق يقارن بين نصين مختلفين ، فالدفاع والهجوم من الناحية العسكرية شيءوالروح الهجومية والروح الدفاعية في الثورة شيء اخر . وأنا ومنير متفقان في القضيتين، ولكن صادق يحاول ان يدلل على تناقض بين النصين وعلى تناقض في موقفينا قائلا : « هذا مع ان زميل منير شفيق في فتح ، ناجي علوش ، يؤكد في كتاباته عن المقاومة ان من علامات الانحراف اليميني في الحركة الثورية» ما ذكرته وما اشار اليه (ص ٢٠٠) .

ولقد أشرت الى هذه القضية في كتابي نحـــو ثورة فلسطينية جديدة ص ١٢٩ ، ولكن يبدو ان صادق لا يقرأ الا ما يريد فقط .

ثم يحاول صادق ان يغالط ايضا في القضية التي اثارها منير . انه يقول : « على كل حال يبدو لي ان العودة الى التأكيد على هذه النقاط فيها شيء من التفاهة ، لان المسألة بديهية جدا ، ولا تحتاج الى مناقشات مطولة ، ولكن ما حيلتنا اذا كـــان منير شفيق يصر على اثارة موضوع الدفاع والهجوم عـــلى مستوى البديهيـــات والامـــور البدائية » (ص ٢٠٠) .

ومنير يصر على اثارة هذا الموضوع وعلى مستوى البديهيات ، لان ممثلي الاتجاه « اليساري الثوري الجذري » في حركة المقاومة والاتجاه اليميني المتخلف سواء بسواء ، اخـــذوا يرددون بعد ايلول مـــا طرحته بعض الحكومات العربية وبعض القيـــادات العسكرية النظامية عليهم من ان العصابات لا تقاتل حرب مواقع ، ومن ان اللجوء الى حرب المواقـــع كان من اكبر اخطائنا في ايلول . وكنا نحن ، انـــا ومنير نسمع هذا الطرح بآذاننا ، ونناقشه مـــع كثيرين . وكنا نعتبر ان هناك من يحاول ان يزرع في اذهان الجماهير ان قتال المواقع خطأ ، وان على المقاومة بالتالي ان تترك المدن والمخيمات راضية مطمئنة . ولقد حدث هذا بعد ذلك عندما أخليـــت عمـــان والمـــدن والمخيمـــات ، وانتقل المقاتلـــون والميليشيا الى الجبال ليمارسوا حرب العصابات . والباقي بالطبع معروف ، وما زالت هـــذه الاراء تطرح حتى الان . الا يحق لنا بعد ذلك ان نشرح البديهيات ونؤكد عليها ؟

وهكـــذا يـــرى القارىء ان التركيـــز على هـــذه البديهيات ، التي يزعج صادق التركيز عليهـــا ، لا يتضمن كشف خط عسكري منحرف يهمل اهمية الدفاع في القتال عموما وحرب الشعب خصوصا ، ولكنه يتضمن ايضا كشف خط استسلامي يريد أن يبرر الانسحاب من المدن وتصفية «كاسب الجماهير بالتستر وراء موضوعات «عسكرية» خاطئة. وكان أكبر خطأ ارتكبته قيادات المنظمات بلا استثناء ، الموافقة على سحب الاسلحة من المدن والمخيمات، وعدم الدفاع عن الجماهير ومواقعها دفاعا بطوليا مستميتاولكن «المنظرين»العسكريين وغير العسكريين برروا « عملية السحب » باسم ان العصابات لا تدافع عن مواقع . ولهذا كانت الهزيمة بعد ايلول، من بين اسباب اخرى . ان الجماهير قاتلت في ايلول قتالا بطوليا ودافعت عن مواقعها ، كما دافعت بعد ايلول ، وما زلت انا ومنير مصرين على مواقفنـــا التي أعلنها بهذا الصدد ، قبل ايلول وبعده .

واذا كانت هذه البطولات لا تحظى بقليل من اهتمام صادق ، فاننا نذكر صادق « الماركسي » بما قاله ماركس عن جماهير باريس بعد هزيمة الكومونة : « يا لهؤلاء الباريسيين ، يا لمبادرتهم ويا لشجاعتهم! لقد عصفوا بالسماء » . ونذكره ايضا بالاهتمام الكبير الذي اولاه ماركس وانجلـــز ولينين وكـــل الماركسيين لكومونة باريس . وما زالوا يولونه . وكان في كومونة باريس حوالي اربعمائة الـــف مسلح ، ظلوا يحكمون باريس حوالي العام ،وحين هاجمهم جيش تيير هزموا بعد ستة ايام . ومع ذلك تقام الاحتفالات كل عام تخليدا لبطولتهم. وجماهيرنا في عمان والاردن لم تكن تملك عشر السلاح الـــذي ملكته الكومونة ، ومع ذلك واجهت جيشا لا يقل عن جيش تيير عددا، وصمدت في معركة طاحنة استمرت شهرا ٨/٢٨ ـــ ١٩٧٠/٩/٢٨ ، ما عدا المعارك السابقة . وظلت بعد ذلك تقاتل قرابة عام .

وعلى الرغم من ذلك كله فان جماهيرنا في عمـــان والاردن لا يحتفل ببطولاتها ، ولا تخلد ذكرىمعاركها الخالدة ، وبدلا من ان تدرس اخطاء تجربتها وتثمن بطولاتهـــا تركز الاضواء عـــلى الاخطـــاء تركيـــزا « هستيريا » وتنسى البطولات نسيانا كاملا .

أما كانـــت بطولات جماهيرنـــا تستحق من صادق وزملائه وقفة قصيرة ! واذا كانت الاخطاء تستحق كل هذا الاهتمام الا تستحق البطولات والمبادرات اضعاف اضعاف ما استحقته الاخطاء . انالشعوب لا تتعلم من اخطائهـــا فحسب ، انها تتعلم مـــن بطولاتها ايضا .

ولكن الذين لا يثقون بالجماهير ، والذين يحتقرون مبادراتها « العفوية » لا يرون الا اخطاءها ، لانهم